مجلة مجتمع تربية عمل

ISSN: 2507-749X EISSN: 2602-7755

https://www.asjp.cerist.dz/revues/414

المجلد:07/ العدد02 (2022) ص ص58/66

المجتمع الزواوي في العهد العثماني 1720م-1830م

Zouaoua Society in the Ottoman Era 1720-1830

صالحي مزهورة

جامعة مولود معمري تيزي وزو

mezhoura.salhi@yahoo.fr

معلومات المقال

تاريخ الارسال: 2022/02/05

تاريخ القبول:2022/10/01

الكلمات المفتاحية:

- ✓ الزواوة
- ✓ العرف
- ✓ عمراوة
- ✓ قبائل المخزن
- ✓ القبائل الرعية

ملخص:

تميز سكان الزواوة في الماضي بالاستقرار في الجبال، وشيّدت قراهم على قمم المرتفعات والتلال الحصينة. يخضعون لنظام اجتماعي مميّز يستمد أسسه من "العرف"، فهو أعلى سلطة وبمثابة دستور المنطقة، ومن مؤسساته العريقة جماعة القرية (تجماعث). رغم تمكن الأتراك العثمانيون من الدخول إلى مدينة دلس (إفليسن البحر) في وقت مبكر (1517)، فإن إخضاع بلاد الزواوة قد تأخر إلى القرن الثامن عشر، بسبب طبيعة المنطقة القاسية. في سنة 1720، تمكن علي خوجة من إخضاع قبائل عمرواة بعد أن نجح في إنهاء حكم أسرة بختوش التي انتهت معها سلطة آث القاضي وأسس قبائل المخزن في عمراوة. كما جلب عناصر بشرية مختلفة كالزنوج إلى المنطقة. في حين بقيت قبائل زواوة في المناطق الجبلية لجرجرة مستقلة وممتنعة رغم مساعي الإدارة العثمانية لإخضاعها.

Article info

Received :05/02/2022

Accepted :01/10/2022

Abstract :

In the past, the Zouaoua settled in the mountains and their villages were built on highlands and hilltops. They were subject to a distinct social system that drew its foundations from customary law, which was the supreme authority and constituted the constitution of the region. One of the region's long-standing institutions was the village council (Tajemaɛt). Although the Ottoman Turks were able to enter the city of Dellys (Eflissen el-Bahr) early in 1517, the subjugation of the Zouaoua country was delayed until the 18th century, due to the harsh nature of the region. In 1720, Ali Khoja succeeded in subduing the tribes of Amraoua after having succeeded in putting an end to the reign of the Boukhtouch dynasty, with which the authority of Ath el-Qadi came to an end; he founded the Makhzen tribes in Amraoua. He also brought various ethnic groups, such as Negroes, to the region. On the other hand, the Zouaoua tribes of the mountainous regions of the Djurdjura remained independent and inaccessible despite the efforts of the Ottoman authorities to subjugate them.

Keywords:

- ✓ *Zouaoua,*
- ✓ *custom*
- ✓ *Amraoua*
- ✓ *Makhzen tribes*
- ✓ *Subject tribes*

❖ **مقدمة:** أشار ابن خلدون (2000) أنّ بلاد الزواوة بطن من بطون البتر، تقع ما بين دلس غربا وبجاية شرقا، ذكر ابن خلدون: "وجبالهم ما بين بجاية وتدلس وهو أعصم معاقلهم وأمنع حصنيهم" حيث عرّفها على النحو التالي: "أن زواوة من قبائل كتامة... ولهم بطون كثيرة: بنو مَجْسَطَة وبنو مليكش وبنو كوفي ومشدالة وبني زرقف وبنو كوزيت وكرسفينة ووزلجة وخوجة وزِكلاوه وبنو مرانة. ومن أشهر قبائلهم حسبه نجد: "بنو يجر، وبنو منقلات، وبنو بترون، وبنو ماني وبنو غردان، وبنو يتسوغ وبنو يوسف، وبنو عيسي، وبنو بوشعيب، وبنو صدقة، وبنو غبرين، وبنو قشطولة، وبني فراوسن، وبني يراثن وبني سرا". أما أبو يعلى الزواوي (2005) قال عنهم: "أنهم سموا الزواوة لكثرة جموعهم، إذ معنى زوى شيء جمعه فهو زاو وأزوى جاء ومعه غيره". ويرى فراد (2011) أنّ تسمية الزواوة اشتقت من كلمة "أقاوا" جمع إقاوون الدالة على مجموعة الفئات القاطنة في السفوح الشمالية لجبال جرجرة. واشتهر سكان هذه المنطقة بممارسة التجارة المتنقلة عبر الوطن، حتى صارت تسمية "أقاوا" تعني التاجر المتنقل.تنقسم بلاد الزواوة إلى قسمين: سكان المنطقة الجبلية الذين يعرفون في الطوبونوميا المحلية بإقاوون أو زواوة، وسكان المناطق السهلية إفليسن. وقد قسم الأتراك البلاد إلى منطقة القبائل العليا (الجبلية) والقبائل السفلى أي السهلية المعروفة بعمراوة. وبدخول الأتراك العثمانيين مع مطلع القرن الثامن عشر (1720)، عرفت بلاد الزواوة تغيرَات في البنية الاجتماعية بسبب بروز عناصر بشرية جديدة ستساهم في ميلاد مجتمع جديد مركب وغير متجانس. ما واقع المجتمع الزواوي قبل دخول الأتراك العثمانيين؟ وما هي التحوّلات التي عرفها خلال الوجود العثماني 1720-1830 ؟

❖ **التنظيم المؤسساتي للمجتمع الزواوي:** أشار فراد (2011) أنّ سكان الزواوة تميَز في الماضي بالاستقرار في الجبال، وشيدت قراهم على قمم المرتفعات والتلال الحصينة، في شكل حارات (إذرمة) تجمع أفراد العائلات المتفرعة، وكانت منازلها على نمط واحد متراصة في شكل قلعة تساعدهم على مهام الدفاع عن حماهم، وتستجيب لمتطلبات حياتهم البسيطة، وأضاف Lacoste-Dujardin (2002) بأنّ سكانها يشتغلون منذ القدم بالزراعة والحرف التقليدية (الفضة الصوف الفخار...)، وتمتاز بكثافة سكانية مرتفعة.
وحسب حسين الحاج (2016) فإنّ المجتمع الزواوي يستمد معظم نظمه القانونية والاجتماعية من العرف الذي أطلق عليه هانوتو *"القانون العرفي"* (Le droit coutumier)، يعرف بالأمازيغية "ثاقولث"، ومشتق من الاسم العام "إميزو" يقابله مصطلح الميزان باللغة العربية.

✓ **العرف أو العادة:** يعتبر العرف حسب فراد (2011) من أقدم مصدر للقانون عرفه الإنسان عن طريق إتباع سلوك اجتماعي معين، قد ظل يكرره لفترة طويلة حتى أصبحت عادة تلزم الأفراد بتنظيم علاقاتهم في المجتمع. ويضيف هانوتو ولوتورنو (2013) بأنّه ينتقل من جيل إلى جيل بطريقة شفوية،

ويسري على الأحوال الشخصية وعلى نقل الملكية وعلى شروط التعاقد، والعرف كل ما يحدث من تغيير في العادة ولأنه منبثق من قانون القرية فهو لا يسري إلا في حدود التربية، وهو يعادل تقريبا مفهوم الممارسات المحلية.

والعرف أيضا وفق Daumas (1888) عبارة عن مجموعة من القواعد القانونية والاجتماعية المتمثلة في نظام العقوبات والمغارم والفصل في النزاعات والقواعد الأساسية التي يبنى عليها التشريع .

ومن جهة Bousquet- Lefèvre (1939) فالعرف في منطقة الزواوة هو أعلى سلطة لا يمكن أن تناقض إرادتها ولا يقبل الطعن في قراراتها فهو بمثابة "دستور المنطقة"، إنه قديم يعمل به منذ أكثر من ألفين سن، لا يخرج عن النطاق الجغرافي والاجتماعي للقرية، حيث قام بصياغته العقال والمصلحين والشيوخ، وبعض قوانينه مستوحاة من الدين الإسلامي، وبواسطة هذا العرف يتم تنظيم الحياة بمنطقة الزواوة من خلال هياكل معينة تسهر على تطبيق تلك التنظيمات من بينها الجماعة:

- ✓ **الجماعة (ثجماعث):** يرى Harcoun-Campredan (1921) أنّ الجماعة (ثجماعت) عبارة عن تنظيم اجتماعي شبه برلماني زَوّد قرى منطقة القبائل بوحدة سياسية واجتماعية منفردة، وهي السلطة الحاكمة الواحدة في القرية تجمع في آن واحد السلطتين السياسية والقضائية، وتتميز قراراتها حسب هانوتو ولوتورنو (2013) بطابع السيادة مستقلة لا تقبل أن تتدخل في حياتها الداخلية أية سلطة أجنبية.

تتولى الجماعة حسب Harcoun-Campredan (1921)، فضلا عما سبق، مهمة الفصل في النزاعات والجرائم والشؤون المدنية وتنفيذ القرارات المختلفة الخاصة بالقرية. تعقد جمعياتها عادة يوم الجمعة وفي اجتماعات دورية، أو كلما استدعتها الضرورة.

ووفق Devaux (1859) فإنّه أثناء الاجتماع يتم الإعلان عن القرارات بعد تصويت كل الحاضرين فيها، ويتولى الأمين مهمة السلطة التنفيذية، ويحضر لمناقشة مسائل القرية كل الذكور البالغين، وتُؤخذ القرارات بالإجماع بعد التشاور، وبالتالي فهي بمثابة مجلس شورى واحترام الرأي.

ويرى Feraoun (1990) بأنّه يترأس الجماعة شيخ (أمغار) القرية الذي يتم تعيينه بالاقتراع العام، ويقوم المرابطون والشيوخ والعقال بدور المصلحين لفك النزاعات، كما أنها تمثل التشكيلة التقليدية للمجتمع الزواوي، ورمز السلطة والقرار، وتساهم في حماية الضعفاء والفقراء وتحمي القرية من التشتت والتفكك.

- ✓ **الأمين:** يتم انتخاب الأمين حسب Baudicour (1852) عن طريق الاقتراع العام ضمن أعضاء الجمعة ، ووفق Daumas (1888) فإنّه تختلف مدة سلطته من قرية إلى أخرى، في بعض القرى تتجدد كل ستة أشهر، وعند البعض الأخر كل سنة لا سيما عند "آث منقلات"، يختار الأمين بالتداول في كل خروبة تابعة للقرية، غير أن مدة وظيفته غير محددة زمنيا إذ يؤخذ بالاعتبار فقط مبدأ التداول. يتم اختياره ضمن الشخصيات المؤثرة في القرية، وينتمي إلى صف قوي وأن يكون غنيا وفي بعض القرى مهنة الأمين وراثية (أورد في: C.A.O.M).

ويرى هانوتو ولوتورنو (2013) بأنّه تتمثل صلاحيات الأمين في الإعلان عن العقوبات، وجمع الضرائب، ويعلن عن المخالفات البسيطة دون الخروج عن الإطار القانوني المنبثق من الجماعة، يترأس الجماعة في اجتماعاتها الأسبوعية لمناقشة الشؤون الإدارية أو المسائل القضائية.

✓ **القبيلة:** تتكون القبيلة حسب فراد (2011) من مجموعة قرى يجمعها النسب أحيانا والجغرافيا والمصالح أحيانا أخرى، وينسب سكانها للجد الأول، ويرى سعد الله (2009) بأنّها تعتبر الخلية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ذات الفعالية القوية في مصير البلاد، ووحدة متماسكة وتراثا مشتركا ومصالح مشتركة. تعيش حياة السلم وتعلن الحرب كوحدة ذات مصلحة خاصة.

يرى فراد (2011) بأنّ القبيلة الواحدة لا تعيش منعزلة رغم مكانتها وقوتها، لأن قانون البقاء كان يفرض عليها التحالف والاحتماء بالآخرين، كما يفرض عليها الدخول في حروب مع السلطة أحيانا أو ضدها أحيانا أخرى. تتحد مجموعة من القبائل ذات المصالح المشتركة في جمعيات متحدة تدعى "ثقبيلت" (تحالف القبائل) أو إذني لعراش، ويضيف Liorel (1892) بأنّها تتولى مهمة الدفاع المشترك عند الضرورة كخطر الحرب، كاتحاد قرية "أث لحسن" و"أث لربعاء" "أث ميمون"، "ثوريرث الحجاج".

تحتاج القبيلة حسب هانوتو ولوتورنو (2013) إلى قائد قوي ورئيس مقدام خصوصا في حالة حرب هجومية أو دفاعية، يدعى "أمين الأمناء" (أمقران إمقرنن)، هو موظف معين في فترات الحرب من طرف الأعيان من أجل مساعدة القادة المحاربين في إدارة العمليات العسكرية.

كانت القبائل المجاورة لوادي سباوو (قبائل آث واقنون وآث جناد ومعاتقة وآث يرثن) والتي كانت في حرب شبه دائمة مع مخزن عمراوة ، تتفق غالبا بوجود أمين القبيلة في وقت السلم، ولم يكن له من مهمة يومها سوى السهر على المصالح العامة دون صلاحيات محددة.

❖ **التركيبة السكانية الجديدة للمجتمع الزواوي:** أشار فراد (2011) بأنّه على الرغم من أن خير الدين بربروس تمكن من دخول مدينة دلس في وقت مبكر من عام 1517، فإن إخضاع بلاد الزواوة (عمراوة) قد تأخر إلى القرن 18، بسبب وعورة المنطقة، ولوجود قوتين متنافستين لكنهما معارضتين للعثمانيين وهما: المرابطون الذين كانت لهم زعامة روحية نافذة، وإمارة كوكو. كما أشار كذلك Robin (1999) بأنّه لم يتمكن الأتراك من دخول بلاد الزواوة حتى عام 1720 وتمكن علي خوجة في هذه سنة إنهاء حكم أسرة بختوش -تعد امتدادا لإمارة آث القاضي الشهيرة بمنطقة الزواوة- وقام بتشييد برج سيباو. ويشكلون حسب Devaux (1859) فئة اجتماعية أساسية ومميزة في المجتمع الزواوي ويمثلون طبقة علماء الدين المصلحين. مثقفين بثقافة إسلامية يتقنون العربية يقومون بالإصلاح والتوجيه وفك النزاعات بين القبائل المختلفة، وتسند إليهم مهمة تدريس الدين الإسلامي في الزوايا، يشكلون في القرية خروبة خاصة بهم.

أشار قاسيمي (2009) بأنّ الأتراك العثمانيون قد قسمَ قبائل المنطقة إلى عدة أصناف من القبائل منها: قبائل مخزنية، التي تعتبر ذراع العثمانيين في حكم المنطقة، وقبائل رعية التي تمثل موردا للعثمانيين باعتبارها خاضعة لحكمهم وهناك قبائل أخرى، بعضها تحالفت مع القيادة وبعضها الأخرى إمَا معارضة، وإمَا محايدة مع سلطة القيادة، حيث أبقت الأرياف على مراقبتها بصفة غير مباشرة.

قام علي خوجة بتأسيس قبائل المخزن في عمراوة، واستقدم عناصر بشرية مختلفة كالزنوج (عبيد شملال)، وكراغلة وعائلات عديدة من برج حمزة وغيرها وشجع السكان المحليين على الاستقرار في السهول، وقسم عرش عمراوة إلى قسمين:

- **عمراوة الأعلى أو الفواقة (أوفلا):** مركزه قرية ثامدة مقر قبيلة أث قاسي (آث أوقاسي) القوية وتتكون من عدة عناصر بشرية، عرب وأتراك وقبائل جاؤوا من المناطق المجاورة. تشرف عمراوة الأعلى على كل من أولاد بوخالفة، تيزي وزو، عبيد شملال، تيميزار لغبار، السيخ أومدور، إغيل أوعجاج، ثلا عثمان، ثيقوبعين، تامدة ومقلع وكذا بعض القبائل التي لم تكن مخزنية ولم تساهم في تزويد الزمائل بالفرسان وهي: سيباو القديم، كيطوس، أولاد وارث، ثلا مقر، زمولا، بوردیم، بوحباشو، ثالة علاَم، رجاونة رحاحلية وذراع خليفة.
- **عمراوة الأدنى أو التحاتة (أبودا):** مركزه حسب فراد (2011) قرية تاورقة، حيث مقر عائلة أولاد محي الدين ذات النفوذ، وكان يتشكل من العناصر المختلطة، المستقدمة من إفريقيا (العبيد) وباقي مناطق الجزائر وكانت هذه المنطقة أكثر خضوعا للعثمانيين، وكانت قرى كهف لعقاب، برج سباو، توارقة ذراع بن خدة، سيدي نعمان واليتيمة تحت سلطة هذا العرش (أورد في: فرج، 2007).

وفيما يلي أهم قبائل بلاد الزواوة أواخر العهد العثماني:

- ✓ **القبائل المخزنية:** يرى سعيدوني (2009) بأنّ هذه القبائل تمثل المحور الأساسي الذي ترتكز عليه سياسة الأتراك مع باقي سكان الإيالة، ووفق دحماني (2008) كانت تتمركز في الأماكن الاستراتيجية، وفي ضواحي المدن والحاميات لتسهيل حركة مرور الجنود، وفي الأسواق، وبجانب مخازن الحبوب والطواحين وغيرها وتكلف بحراسة الأبراج والحصون والممرات الرئيسية والمسالك الجبلية، أنشأها العثمانيون في بلاد الزواوة حسب شويتام (2006) قصد تدعيم حامياتهم في المنطقة. وأشار فراد (2011) بأنّه قدر عدد التجمعات السكانية لقبائل المخزن بعمراوة بستة عشر زمالة كان أفرادها ينحدرون من فرسان القبائل العربية أو من أبناء منطقة الزواوة نفسها، مشكلة من عناصر سكانية محلية ووافدة تشغل حوالي 20 ألف هكتار من الأراضي الخصبة. وتتمثل حسب فرج (2007) في: قرى كهف العقاب، برج سيباؤو، توارقة، ذراع بن خدة، سيدي نعمان، اليتيمة، أولاد بوخالفة، تيزي وزو، عبيد شملال، تيمزار لغبار، سيخ أومدور، إغيل أورابح، ثالة عثمان، تيقوبعين، ثامدا ومقلع. ووفق ولد الشيخ (2018) فإنّه تتركز أساسا حول النقاط

الإستراتيجية لمراقبة تحركات القبائل غير المخزنية اعتمد عليها العثمانيون كقوة ضاربة في الأرياف، ولذلك عملوا على تجنيدها، يقومون بجمع الضرائب من السكان والتزمت بحفظ الأمن والاستقرار وضرب كل تمرد موجه ضد السلطة. واعتمد العثمانيون في إخضاعهم لأحواض بلاد الزواوة مثل يسر، سيباو وبوغني، على عدد من القبائل، لا سيما قبائل قشتولة التي كانت تشكل رعية حوض بوغني وقبائل نزليوة في المناطق العالية من وادي سيباو.

✓ **القبائل الرعية:** يرى شويتام (2006) بأنّه كان المجتمع الجزائري في العهد العثماني يتكون أساسا من القبائل الرعية، التي جعلها خضوعها المباشر لسلطة البايلك، تتحمل عبء النظام الضريبي، وأرغمتها عوامل مختلفة على الخضوع للإدارة العثمانية.

تتألف القبائل الرعية من مجموعات سكانية الخاضعة مباشرة والمقيمة بالدواوير والمداشير والقرى المنتشرة في الجهات التي تراقبها قبائل المخزن، وكان القياد يتعاملون مع شيوخ قبائل الرعية الذين كانوا يتولون عملية جمع الضرائب، وضبط سجلات الضرائب الخاصة بأسماء الأعراش والقبائل والأفراد. فبعد أن تم فصلها عن بايلك التيطري في أواخر القرن 18، شيَد بها العثمانيون عددا من الأبراج، مثل برج بوغني، برج تيزي وزو وبرج دلس، وكانت ترابط بها الحاميات العسكرية المدعمة بقبائل الزمول والعبيد التي كانت تابعة لإدارة قائد سيباو. وكان قائد بوغني يشرف على مجموعة من القبائل منها: قشتولة، آث صدقة، آث عبد المؤمن وقسم من معاتقة، وكانت فرق الزمول وعبيد عين الزاوية تشغل الأراضي الواقعة بالقرب من برج بوغني.

أما قيادة سيباو، فكانت تشمل عددا من القبائل منها آث خلفون، فليسة أم الليل، بني ثور ومدينة دلس، وآث واقنون، وإفليسن البحر، وآث جناد، وآث غوبري، وقبائل أعالي سيباو، وأسيف الحمام، وآث عيسي، وبترونة، آث خليفة وقسم من معاتقة.

ومن قبائل الرعية نجد قبائل عمراوة التحاتة، الذين يمثلون القوة الأساسية للعثمانيين في بلاد الزواوة، وأكثر وفاء لهم على عكس عمراوة الفواقة الذين كانوا يخرجون عن طاعتهم.

وأشار Robin (1999) بأنّه كان القائد يكلف كل شيخ من شيوخ عمراوة بجمع الضرائب والغرامات المختلفة من قبائل الرعية والجدول الموالي يبين عدد الشيوخ والقبائل التابعة لكل واحد منهم:

مقر وجود الشيخ	عددهم	القبائل التابعة لهم
برج سيباو	09	بني ثور، آث خلفون، أث سلجيم، نزليوة
ذراع بن خدة	05	أث عريف، أعرور
تورقة	02	عطوش، حمامتة
أولاد بوخالفة	01	أث خالفة، بترونة، قسم من معاتقة
تيزي وزو	01	آث دولة، فرديوة، بوهينون، حسناوة
عبيد شملال	02	أث عيسي، ترافة

وأضاف شويتام (2006) بأنّ أراضي البايلك، والتي قُدرت مساحتها بـ 20 ألف هكتار، تستعمل من طرف زمول عمراوة التي كان أفرادها يجندون من فرسان القبائل العربية ومن أبناء المنطقة، وتعتبر هذه القبائل المموَن والمموَل الرئيسي للإدارة العثمانية، وهم يتوزعون على النحو التالي:

زمالة عمراوة الأعلى	زمالة عمراوة الأدنى
- أولاد بوخالفة	- كف العقاب
- تيزي وزو	- برج سيباو
- عبيد شملال	- تورقة
- إسياخن أومدور	- ذراع بن خدة
- إغيل أورابح	- سيدي نعمان
- ثالة عثمان	- ليتامة
- ثيقوبعين	
- تامدة	
- مقلع	

✓ **القبائل المتحالفة:** يرى قداش (2010) بأنّ القبائل المتحالفة هي تلك القبائل التي تتعامل مع البايلك عن طريق شيوخها وزعمائها المحليين الذين أصبحوا بحكم العادة والعرف يتوارثون حكمها معتمدين في ذلك على نفوذهم الديني وكفاءتهم الحربية. والعائلات التي تولت زعامة هذه المجموعات القبلية الحليفة بمنطقة جرجرة وجبال البابور والساحل وتعود في أصولها إلى "الأشراف."

كان المرابطون حلفاء الإدارة العثمانية في المنطقة، وعمل العثمانيون بمبدأ ثنائية السلطة الإدارية من خلال تدعيمهم للمرابطين والطرق الصوفية (الرحمانية) وشيوخ الزوايا، باعتبار أن السلطة الوحيدة التي تخضع لها الجزائر في أواخر العهد العثماني بالريف هي سلطة المرابط، القائد أو الشيخ. وما يوضح هيمنة المرابطين في المجتمع الزواوي ما تشير إليه بعض المصادر التاريخية إلى ذلك بالقول: *"أن الدولة العثمانية لا تستطيع المرور بجبال البيبان وجرجرة دون أخذ ضمانات وحماية المرابطين المؤثرين في المنطقة"* (أورد في: خوجة، المرآة، 2005).وأشار ولد الشيخ (2018) بأنّه لم يستطع العثمانيون من الدخول إلى المنطقة إلا بموافقة المرابطين، كما استعمل العثمانيون المرابطين وشيوخ الزوايا أثناء الثورات ضد الحكم، فكانت السلطة العثمانية تمنح لهؤلاء الشيوخ والمرابطين امتيازات هامة مثل بناء المساجد ومنحهم الهبات والأراضي الزراعية لزواياهم وإصدار الضمانات، خاصة لمرابطي المناطق الجبلية.وكان المرابطون مكلفين بإيصال حرايات الجند المقيمين بالحامية العسكرية، إذ نص أحد بنود الاتفاقية المنعقدة بينهم والسلطة، على ما يلي: *"إن المرابطين حومة، يأخذون من الأعراش أعشار الزرع والتين والزيت... والمرابطون يأمرون أعراشهم إلى طاعة المخزن والعافية"*. (أورد في: خوجة، المرآة 2005).

- ✓ **القبائل الممتنعة أو المستقلة:** يرى دغموش (2014) بأنّ القبائل الممتنعة أو المستقلة هي مجموعة القبائل التي تمتنع عن دفع الضرائب، وقد ساعدها على ذلك موقعها الجغرافي وتضاريسها، وكذا بعدها عن مركز الإدارة، وكان رفضها راجع إلى طبيعة نشاطها الاقتصادي، إذ تعتبر أراضيها من أفقر الأراضي مما جعل مواردها الزراعية ضعيفة، فكان نشاط تلك القبائل مقصورة على قليل من الزراعة وتربية المواشي والتجارة، هذا ما جعل اقتصادها نادرا ما يلبي احتياجاتها اليومية. وقد سمح لها موقعها الجغرافي أن تعيش شبه مستقلة عن السلطة الحاكمة. وحسب ولد الشيخ (2018) فإنّ هناك صنف من قبائل المخزن، يتشكل من القبائل الممتنعة أو المستقلة أدخلت بالقوة إلى صنف قبائل المخزن، لكنها كلما شعرت بضعف الإدارة تقوم بالعصيان وتنفلت عن المخزنية، وخير مثال على هذه القبائل نذكر قبائل نزليوة في أعالي يسر، فكان رجالها يشكلون فرق الصبايحية، التي وضعت تحت قيادة برج بوغني، فكانت تتميز بالانتفاضات التي تشعلها مما دفع الحكم العثماني في الجزائر إلى شن حملات عسكرية ضدها عدة مرات، وكان أشدها تلك التي أرسلت ضدها في سنة 1800 إثر اعتداء بعض أفرادها على المسافرين في عائشة، واستطاع يحي آغا إخضاعها وحولها إلى قبائل مخزنية. ويرى شويتام (2006) بأنّه لم تكن أولويات الإدارة العثمانية تفرض الضرائب على هذه القبائل (فقيرة). كما هو الشأن في المناطق السهلية الخاضعة لها، بل كانت تهدف إلى تحويل عدد من القبائل الممتنعة إلى قبائل مخزنية أو إجبارها على الأقل على دفع ضريبة رمزية، تعبيرا عن ولائها وتبعيتها للإدارة.

❖ **خاتمة:** ما ميز المجمع الزواوي أواخر العهد العثماني هو ذلك التحوّل في التركيبة الاجتماعية والبشرية بدخول وظهور عناصر بشرية جديدة غير متجانسة، خاصة القبائل المخزنية والرعية والتي انتشرت في سهول عمراوة بصفة خاصة. وما يجدر الإشارة إليه، أن الأتراك العثمانيين لم يتمكنوا من إخضاع القبائل الممتنعة في المناطق الجبلية لجرجرة رغم محاولتهم المتكررة، فكانت معظم هذه القبائل شبه مستقلة، إذ كانت الضرائب تفرض فقط على الأفراد الذين يملكون أراضي زراعية في حوض سيباو، وأن وجودهم فيها كان مقتصرا على القياد وبعض الأشراف (المرابطون) والأغوات والمحلات العسكرية التي كانت تجوب المنطقة في مواسم محددة لجمع الضرائب (لزمة التين والزيتون)، ولكن بسبب الظروف المادية القاهرة والفقر أرغمت بعض القبائل على الخضوع للإدارة العثمانية.

ولعل أبرز الاقتراحات التي يمكن توجيهها بعد هذا البحث هي:

- ✓ تشجيع طلبة التاريخ على الاهتمام بمواضيع التاريخ الاجتماعي للجزائر، لأننا بأمس حاجة لهذه الدراسات الاجتماعية لفهم واقعنا.

- ✓ فتح مشاريع بحث جامعية تتناول التاريخ الاجتماعي، نظرا لما له من أهمية في فهم صيرورة المجتمعات المحلية وتطورها ومدى مساهمتها في بناء الهوية الوطنية.
- ✓ البحث الأكاديمي، هو عمل متواصل وكتاب مفتوح بحاجة للإثراء المستمر.

❖ قائمة المراجع:

1. حسين الحاج ,م . (2016) الحالة المدنية آلية من آليات الهيمنة الاستعمارية :حالة قبائل جرجرة 1962-1891 رسالة لنيل شهادة الدكتوراه، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية، جامعة الجزائر. الجزائر.
2. خوجة ح. ب, ع. (2005) .المرآة. تقديم وتعريب محمد العربي الزبيري، الجزائر. ANEP.
3. دحماني, ت (2007-2008) .الضرائب في الجزائر (1206-1282 هـ/1782-1865) دراسة مقارنة، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية. جامعة الجزائر. الجزائر.
4. دغموش .ك (2013-2014) .قبائل الغرب الجزائري بين الاحتلال الإسباني والسلطة العثمانية (1509-1792م)، رسالة ماجستير، جامعة وهران.
5. الزواوي ,أ .ي (2005). تاريخ زواوة. مراجعة وتعليق: سهيل الخالدي، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، الطبعة 1.
6. زيدين قاسيمي. (2009). قيادة سيباو (تاريخ منطقة القبائل في العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي). الجزائر الأمل.
7. شويتام ,أ .(2006) .المجتمع الجزائري وفعاليته في العهد العثماني 1819-1830 .رسالة الدكتوراه. قسم التاريخ كلية العلوم الانسانية والاجتماعية. جامعة الجزائر. الجزائر.
8. عبد الرحمن ابن خلدون. (2000). تاريخ ابن خلدون، المسمى: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر. 6 . بيروت، لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر.
9. فراد ,م .أ .(2011) .المجتمع الزواوي في ظل العرف والثقافة الاسلامية (1749-1949)، رسالة الدكتوراه. قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية. جامعة الجزائر. الجزائر.
10. فرج ,م .أ .(2007) .تاريخ تيزي وزو. منذ نشأتها حتى سنة 1954، الجزائر. ثالة.
11. قداش ,م .(2010) .تاريخ مدينة الجزائر في العهد العثماني .الجزائر. ثالة.
12. هانوتو & ,لوتورنو .(2013) .منطقة القبائل والأعراف القبائلية. ترجمة مخلوف عبد الحميد، ج 2. تيزي وزو. دار الأمل
13. ولد الشيخ ,ع .(2017-2018) . مملكة كوكو ونظامها السياسي والعسكري. رسالة لنيل شهادة الدكتوراه، قسم اللغة والثقافة الأمازيغية، جامعة مولود معمري تيزي وزو، الجزائر.
14. سعد الله , أ. ا. (2009) الحركة الوطنية الجزائرية، ج1. الجزائر .عالم المعرفة
15. سعيدوني , ن. ا. (2009) .ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني. ج2 .الجزائر دار البصائر.
16. Baudicour, D. L. (1852). Des indigènes de l'Algérie. Paris.
17. Bousquet- Lefèvre. (1939). la femme kabyle. Parie.
18. Harcoun-Camprdan, P. (1921). Etude sur l'évolution des coutumes Kabyles. Spécialement en ce qui concerne l'exhérédation des femmes de la pratique du habous. Alger.
19. C.A.O.M : 10H78 Cercle de Dellys, note sur la Kabylie
20. Daumas, E. (1888). Mœurs et coutumes de l'Algérie. Tell-Kabylie-Sahara, Paris 18.
21. Devaux, C. (1859). Les Kebailes de Djerdjera,. Paris.
22. Feraoun, M. (1990). Jours de Kabylie. Alger.
23. Lacoste-Dujardin,. C. (2002). Grande Kabylie : du danger des traditions montagnardes. Heredote N° : 107, 4éme trimestre. France.
24. Liorel, J. (1892). Kabylie du Jurjura. Paris.
25. Robin, J. N. (1999). La Grande Kabylie sous le régime turc. Bouchene. France